متى تغضب..؟

شعر: عبد الغني التميمي

أعيرونا مدافعَكُمْ ليوم ... لا مدامعَكُمْ
أعيرونا وظلّوا في مواقعكُمْ
بني الإسلام
ما زالت مواجعَنا مواجعُكُمْ مصارعَنا
مصارعُكُمْ
إذا ما أغرق الطوفان شارعنا سيغرق منه
شارعُكُمْ
يشق صراخنا الآفاق من وجعٍ فأين تُرى
مسامعُكُمْ؟

ألسنا إخوةً في الدين قد كنا.. وما زلنا
فهل هُنتم. وهل هُنّا
أنصرخ نحن من ألمٍ ويصرخ بعضكم:
دعنا؟
أيُعجبكم إذا ضعنا؟ أيُسعدكم إذا جُعنا؟
وما معنى بأن «قلوبكم معنا»؟
لنا نسبٌ بكم ـ واللّه ـ فوق حدودِ هذي
الأرض يرفعنا
وإنّ لنا بكم رحماً أنقطعها وتقطعنا؟!
معاذ اللّه
إن خلائق الإسلام تمنعكم وتمنعنا
ألسنا يا بني الإسلام إخوتكم؟
أليس مظلة التوحيد تجمعنا؟

رأينا الدمع لا يشفي لنا صدرا ولا يُبري لنا
جُرحا
أعيرونا رصاصاً يخرق الأجسام لا نحتاج لا
رزّاً ولا قمحا
تعيش خيامنا الأيام لا تقتات إلا الخبز
والملحا
فليس الجوع يرهبنا ألا مرحى له مرحى
بكفٍّ من عتيق التمر ندفعه ونكبح شره
كبحاً
أعيرونا وكفوا عن بغيض النصح
بالتسليم نمقت ذلك النصحا
أعيرونا ولو شبراً نمر عليه للأقصى
أتنتظرون أن يُمحى وجود المسجد الأقصى
وأن نُمحى
أعيرونا وخلوا الشجب واستحيوا سئمنا
الشجب و الردحا

متى تغضب
أخي في اللّه أخبرني متى تغضبْ؟
إذا انتهكت محارمنا
إذا نُسفت معالمنا
ولم تغضبْ
إذا قُتلت شهامتنا
إذا ديست كرامتنا
إذا قامت قيامتنا ولم تغضبْ
فأخبرني متى تغضبْ؟
إذا نُهبت مواردنا
إذا نكبت معاهدنا
إذا هُدمت مساجدنا وظل المسجد
الأقصى وظلت قدسنا تُغصبْ
ولم تغضبْ
فأخبرني متى تغضبْ؟
عدوي أو عدوك يهتك الأعراض يعبث في
دمي لعباً

وأنت تراقب الملعبْ
إذا للّه، للحرمات، للإسلام لم تغضبْ
فأخبرني متى تغضبْ؟
رأيت هناك أهوالاً
رأيت الدم شلالاً
عجائز شيّعت للموت أطفالاً
رأيت القهر ألواناً وأشكالاً
ولم تغضبْ
فأخبرني متى تغضبْ؟
وتجلس كالدمى الخرساء بطنك يملأ المكتبْ
تبيت تقدس الأرقام كالأصنام فوق ملفّها تنكبْ
رأيت الموت فوق رؤوسنا ينصب
ولم تغضبْ
فصارحني بلا خجل لأية أمة تُنسبُ؟
إذا لم يُحْيِ فيك الثأرَ ما نلقى فلا تتعبْ
لست لنا وَلا منا
ولست لعالم الإنسان منسوبا
فعش أرنبْ ومُت أرنبْ
ألم يحزنك ما تلقاه أمتنا من الذلِّ
ألم يخجلك ما تجنيه من مستنقعِ الحلِّ
وما تلقاه في دوامة الإرهاب والقتل
ألم يغضبك هذا الواقع المعجون بالهول
وتغضب عند نقص الملح في الأكلِ

متى تغضب
ألم تنظر إلى الأحجار في كفيّ تنتفضُ
ألم تنظر إلى الأركان في الأقصى بفأسِ القهر تُنتقضُ
ألست تتابع الأخبار؟
حيٌّ أنت
أم يشتد في أعماقك المرضُ
أتخشى أن يقال يشجع الإرهاب أو يشكو
ويعترضُ
ومن تخشى؟
هو اللّه الذي يُخشى
هو اللّه الذي يُحيي
هو اللّه الذي يحمي
وما ترمي إذا ترمي
هو اللّه الذي يرمي
وأهل الأرض كل الأرض لا واللّه ما ضروا ولا نفعوا
ولا رفعوا ولا خفضوا
فما لاقيته في اللّه لا تحفِل إذا سخطوا له ورضوا
ألم تنظر إلى الأطفال في الأقصى عمالقةً قد انتفضوا
تقول: أرى على مضض
وماذا ينفع المضضُ؟
أتنهض طفلة العامين غاضبة وصُنّاع القرار اليوم لا غضبوا ولا نهضوا؟

متى تغضب
ألم يهززك منظر طفلة ملأت مواضع جسمها الحفرُ
ولا أبكاك ذاك الطفل في هلعٍ بظهر أبيه يستترُ
فما رحموا استغاثته ولا اكترثوا ولا شعروا
فخرّ لوجهه ميْتاً وخرّ أبوه يُحتضرُ
متى يُستل هذا الجبن من جنبَيْك والخورُ؟
متى تغضب
متى التوحيد في جنبَيْك ينتصرُ؟
متى بركانك الغضبيُّ للإسلام ينفجرُ
فلا يُبقي ولا يذرُ؟
أتبقى دائماً من أجل لقمة عيشكَ المغموسِ بالإذلال تعتذرُ؟

متى من هذه الأحداث تعتبرُ؟
وقالوا: الحرب كارثةٌ
تريد الحرب إعدادا وأسلحةً وقواداً وأجنادا
وتأييد القوى العظمى
فتلك الحرب، أنتم تحسبون الحرب أحجاراً وأولادا؟
نقول لهم: وما أعددْتُمُ للحرب من زمنٍ
أألحاناً وطبّالا وعوّادا؟
سجوناً تأكل الأوطان في نهمٍ جماعاتٍ وأفرادا؟
حدوداً تحرس المحتل توقد بيننا الأحقاد إيقادا
وما أعددتم للحرب من زمنٍ أما تدعونه فنّـا؟
أأفواجاً من اللاهين ممن غرّبوا عنّا؟
أأسلحة، ولا إذنا بيانات مكررة بلا معنى؟
كأن الخمس والخمسين لا تكفي
لنصبر بعدها قرنا
أخي في اللّه
تكفي هذه الكُرَبُ
رأيت براءة الأطفال كيف يهزها الغضبُ
وربات الخدور رأيتها بالدمّ تختضبُ
رأيت سواريَ الأقصى كلأطفال تنتحبُ
وتُهتك حولك الأعراض في صلفٍ
وتجلس أنت ترتقبُ

ويزحف نحوك الطاعون والجربُ
أما يكفيك بل يحزيك هذا اللهو واللعبُ؟
وقالوا: كلنا عربٌ
سلام أيها العربُ
شعارات مفرغة فأين دعاتها ذهبوا
وأين سيوفها الخَشَبُ؟
شعارات قد اتّجروا بها دهراً أما تعبوا؟
وكم رقصت حناجرهم فما أغنت
حناجرهم ولا الخطبُ
فلا تأبه بما خطبوا ولا تأبه بما شجبوا

متى يا أيها الجنديُّ تطلق نارك الحمما؟
متى يا أيها الجنديُّ تروي للصدور ظما؟
متى نلقاك في الأقصى لدين اللّه منتقما؟
متى يا أيها الإعلام من غضب تبث دما؟
عقول الجيل قد سقمت فلم تترك لها قيماً ولا همما
أتبقى هذه الأبواق يُحشى سمها دسما؟
دعونا من شعارات مصهينة وأحجار من الشطرنج تمليها لنا
ودُمى تترجمها حروف هواننا قمما

أخي في اللّه
قد فتكت بنا علل ولكن صرخة التكبير
تشفي هذه العللا
فأصغ لها تجلجل في نواحي الأرض ما
تركت بها سهلا ولا جبلا
تجوز حدودنا عجْلى وتعبر عنوة دولا
تقضّ مضاجع الغافين تحرق أعين الجهلا
فلا نامت عيون الجُبْنِ والدخلاءِ والعُمَلا

وقالوا: الموت يخطفكم وما عرفوا بأن الموت
أمنية بها مولودنا احتفلا
وأن الموت في شرف نطير له إذا نزلا
ونُتبعه دموع الشوق إن رحلا
فقل للخائف الرعديد إن الجبن لن يمدد له أجلا
وذرنا نحن أهل الموت ما عرفت لنا الأيام من أخطاره وجلا
هلا بالموت للإسلام في الأقصى وألف هلا .

«إسرائيل» تودّع آخر أساطيرها*

تعيش القضية الفلسطينية اليوم تباشير غد يُقلق حرّاس الهزيمة في المنطقة كما يقلق «اسرائيل» وحلفاءها.
لقد استندت «اسرائيل» طيلة حروبها الكبرى ضد الدول العربية إلى لعبة تحييد كل من تركيا وإيران، بل عملت على ضمهما إلى صفّ حلفائها التقليديين.

اليوم، تعود «اسرائيل» إلى يتمها الأول؛ وحشٌ مهزوم منكسر، يمتلك الكثير من السلاح و وسائل الدمار، لكنه لا يملك الكثير من خيارات الحرب كما لا يملك أن يخيف ضحاياه.

ويظل الأمر الأكثر إثارة للأسف هو وضع الدول العربية، لا سيما العجوز المصري الذي اجتهد في الزمن الخطأ ليقدم أروع خدمة إلى «اسرائيل» بإقامة الجدار الفولاذي، إمعاناً في تشديد الحصار على غزّة.

هل تحسن مصر اليوم أكثر من محاكمة حاملي المساعدات عبر الأنفاق إلى غزّة أو تعميق الجدار الفولاذي العازل، فتكون بمثابة ناطور عملاق على باب دولة مارقة؟

لقد بات واضحا أن الفولاذ ليس أمتن من الحرية في صناعة التحدّي. فما دام هناك ضمير في طور التشكل داخل الرأي العام الغربي، فإنّ الطرق الكلاسيكية التي أتبعتها «اسرائيل» في ممارسة الفتك وإخفاء صوره عن العالم لم يعد يجدي. كما أن الصمت المميت الذي احترفته الأنظمة العربية تجاه القضية الفلسطينية بات صمتاً في غير صالحها.

إن «اسرائيل» التي رفضتها الجغرافيا والتاريخ بالأمس، هي نفسها اليوم، يرفضها الضمير الحرّ كما يرفضها المستقبل.

منذ حرب تموز ومروراً بحرب غزّة، دخلت «اسرائيل» دورة جديدة من الدينامية الفلسطينية التي لم يشهدها تاريخها الحافل بالكفاح. خلال ظرف وجيز خسرت «اسرائيل» حربين وفقدت مع ذلك هيبتها كما فقدت فاعلية إستراتيجيتها الأمنية.

وقد أظهر تقرير فينوغراد أنها بالفعل خسرت حرباً، كما أضاف تقرير غولدستون إلى صدمة خسران معركة غزة تهمة ارتكاب جرائم حرب في حق الأهالي الفلسطينيين، أيْ خسران معارك الدعاية والإعلام. وستُظهر الماكينة «الإسرائيلية» المتهالكة التي تعاني الإفلاس، أنْ لا طريق لها غير نهج أسلوبها التقليدي.

واليوم يضيق الخناق أكثر لتتورط عسكريتها، بإيعاز من وزارة الدفاع الصهيونية، باعتراض أسطول الحرية وقتل ١٩ متطوع مدني أغلبهم من الأتراك بالإضافة إلى عشرات الجرحى.

أي بربرية هذه التي تختم بها «اسرائيل» حفل توديع آخر أساطيرها بأنها قاهرة الإنس والجن في منطقة لا زالت شعوبها تنتظر اليوم الذي تمحو عنها هذا العار الذي صنعه على حين غفلة حفنة من عصابات الصهيونية العالمية.

وثمّة شكلٌ آخر من المواجهة لم تجرّبه «اسرائيل»، إذ تجد نفسها اليوم في مواجهة دولتين إسلاميتين من حجم إيران وتركيا.

مضافاً إلى ذلك، بات الكيان الصهيوني، يخسر يوميّاً من رصيد التّعاطف الغربيّ مع قضيّته المزعومة، حيث يشاهد الرّأي العام الدّولي كيف تدمّر «اسرائيل» المدنيين بأسلحة محرمة دولياً وتدان من قبل خبراء يهود مثلما حصل مع تقرير غولدستون، وكيف تغتال الفلسطينيين في أراضٍ ذات سيادة وتزوّر وثائق سفر لدول حليفة مثل بريطانيا وفرنسا وأستراليا، وكيف تستعمل القوة لقرصنة أسطول الحرية المحمّل بمساعدات غذائية وطبية ومواد بناء للشعب الفلسطيني المحاصر في غزّة.

هناك ما يؤكد أنّه وبعد طول أمد المقاومة للمحتل والصمود الطويل في وجه سياسات فرض الأمر الواقع، لم يعد في مستطاع النظم الغربية في أوربا وأمريكا أن تخفي ما يحدث في المنطقة. فوتيرة الإهتمام بقضايا الشرق الأوسط بالنسبة للشارع الأوربي والأمريكي تغيّرت عما كانت عليه، على الأقل قبل أن تعلن الولايات المتحدة الأمريكية عن قرار التدخل العسكري في أفغانستان والعراق، إضافة إلى حرب تموز في جنوب لبنان وحرب غزة. لم يعد الرأي العام الأوربي والأمريكي محايداً بعد أن أدرك ما للُعبة الحرب من تداعيات على اقتصادياته.

منذ صدور تقرير غولدستون الذي أدان جرائم «اسرائيل» في غزّة، بدأ الكيان الغاصب يخسر الرأي العام الغربي. وقد تجلّى ذلك في امتناع كلٍّ من فرنسا وبريطانيا عن التّصويت ضدّ القرار مراعاةً لحالة الغليان في شارعيهما استنكاراً للمجازر الصهيونية في قطاع غزّة. لقد أظهر الرّأي العام الغربيّ أنه بدأ يتحرر من شبح الأيديولوجيا الصهيونية المتحكمة في صناعة القرار والمتغلغلة في الثقافة السياسية والحقوقية للمؤسسات الدولية، على الرّغم من نفاق أنظمته وإكتفائها بالثرثرة عندما يتعلّق الأمر بإدانة الكيان الصهيوني.

وأمّا أوباما الغارق حتى الركبتين في مآزق أمريكية محض. ففضلاً عن العراق وأفغانستان والملف النووي الإيراني والمسألة الكورية والتلوث البيئي الذي يهدد السواحل الأمريكية ومآزق المؤسسات المصرفية الأمريكية ومستقبل الإنتخابات الخاصة بالكونغرس، يجد نفسه منشغلاً عن الرضوخ إلى البكائيات «الإسرائيلية» كاملة.

تطلب «اسرائيل» من الولايات المتحدة الأمريكية ما لا يستطيع المجازفة به حتى حلفاؤها المغامرون داخل الولايات المتحدة. فالمؤسسة الأمريكية اليوم عاجزة عن أن تلبّي كل طموحات ومطالب «اسرائيل»، بما فيها المغامرة بتسديد ضربة ضد إيران أو معاودة الكرّة في لبنان.

ولنا أن نتساءل ـ في الختام ـ عن مصير «اسرائيل» بعد أن فقدت هيبتها أمام جيل جديد في منطقة لم تنس يوما أن فلسطين هي أرض تمّ اغتصابها من قبل عصابات صهيونية وبمباركة من بريطانيا ودعم لا محدود اليوم من أمريكا.

إن أسطول الحرية اليوم لا يفك الحصار عن غزّة فحسب، بل هو يفك الحصار عن القضية الفلسطينية ويرفعها إلى قضاياتهم الرأي العام العالمي.

* مقتطعات من مقال للدكتور إدريس هاني (بتصرّف).